

التفسير المختصر - سورة الرعد (١٣) - الدرس (٦-٧) : تفسير الآية ٢٦ الله يبسط الرزق لمن يشاء .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١٢-٣١

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، فالآية السادسة والعشرون من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا

مَتَاعٌ﴾ (٢٦)

[ سورة الرعد ]

لو أنّ الله تعالى قال: يبسط الله الرزق لمن يشاء ويقدر، وهذا الكلام يعني أنّ الرزق من عند الله ومن عند غيره، أما حينما قال الله عز وجل:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا

مَتَاعٌ﴾ (٢٦)

[ سورة الرعد ]

تقديم لفظ الجلالة يُفِيدُ القَصْرَ والحَصْرَ فالله وحده الذي يبسط الرزق ويمنعه، والإنسان عنده في حياته شيئين خطيرين؛ حياته ورزقه، فحياتك بيده وموتك بيده، ورزقك بيده كثرة وقلة، فماذا بقي للبشر؟ إذا أيقنت أنّ حياتك بيده، وأنّ الرزق بيده وأنّ كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً.

الله عز وجل يبسط الرزق لمن يشاء، لكن مشيئة الله عز وجل متعلّقة بالحكمة المطلقة؛ فهو تعالى يبسط الرزق لمن يستقيم على شرعه قال تعالى:

﴿وَالْوُاسِقَاتُ لِمَنِ النَّارُ وَسَوَاءٌ أُنذِرُهُنَّ أَمْ لَمْ يُنذَرْ لهنَّ نَارٌ لَمَّا حَقَّتْ لهنَّ النَّارُ وَهُنَّ لَا يَنصُرُهُنَّ فَئِئْتَهُنَّ مِنَ النَّارِ وَأَنَّهُنَّ كَذَّبَتْ بِآيَاتِنَا وَأُنذِرْنَ رُسُلَنا مِن قَبْلُ وَهُنَّ لَكَنَافِئُ أَتَيْنَهُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ نَارَ الجَنَّةِ وَأُنزِلَتْ أَمْطَارٌ مِّن سَمَوَاتٍ مُّتَعَدَّةَةٍ لَّهنَّ فِيهَا جُودٌ﴾ (سورة الجن)

(سورة الجن)

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦)

[ سورة الأعراف ]

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ  
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٦)

[ سورة المائدة ]

فهذه الآية:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
مَتَاعٌ﴾ (٢٦)

[ سورة الرعد ]

هذه آية مُجْمَلَةٌ ومُفَصَّلَةٌ بآياتٍ كثيرة.

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)

[ سورة طه ]

معنى ذلك أَنَّ البيتَ المسلمَ الذي تُقامُ فيه الصلاةُ ويأمرُ الأبُ أهله بالصلاة هذا البيتُ مرزوق،  
فهذا عاملٌ للرزق، عاملٌ آخر ؛ قال عليه الصلاة والسلام:

(( الأمانة غني... ))

فالأمن غني، ومعه أكبر رأس مال، وهو الثقة به، والناس يتهافتون عليه، فالاستقامة والأمانة  
تزيدان في الرزق، و يقول عليه الصلاة والسلام:

(( صلة الرحم تزيد في الرزق... ))

فالذي له أخوات إناث أو ذكور، أو أولاد أخ أو أخت تفقدهم وأعانهم ؛ فهذا إنسان مرزوق.

قال تعالى:

﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢)

[ سورة نوح ]

معنى ذلك أَنَّ هذا الذي يستغفر ويتوب ويحاسب نفسه، ويصلي ويقرأ القرآن فهذا يجلب الرزق،  
والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( استمطر والرزق بالصدقة... ))

فالذي يتصدق يجلب لنفسه الرزق، إذا الاستقامة والأمانة والصدقة وصلة الرحم ؛ هذه كلها تزيد  
الرزق، فحينما يقول الله: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.. " مشيئته وفق حكمة مطلقة؛ فالمستقيم  
يرزقه الله، وفي الأثر:

(( قد يحرم المرء بعض الرزق بالمعصية !! ))

فالمحالات إذا صارت أماكن الغزل والمحاذثة ومعصية الله، فهذا المحلُّ يُمحق الرزق فيه.  
المعصية تقطع الرزق، والاستقامة تجلبه، صلة الرحم تجلبه، وقطيعة الرحم تقطع، وكذا الأمانة  
والخيانة ؛ وأحياناً إنقار العمل يجلب الرزق، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ... ))

لكنَّ الله تعالى يعلم ما تخفي الأنفس، فهناك من يستقيم في الضيق، ويفلت في الرخاء، هؤلاء بعلم الله يُعطيهِ رِزْقَ مَحْدُودٍ، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ

بَصِيرٌ﴾ (٢٧)

[ سورة الشورى ]

فالرِّزْقُ في بعض عواملِهِ مُتَعَلِّقٌ بِحِكْمَةِ اللَّهِ ؛ إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ لَهُ إِلَّا الْغِنَى فَإِذَا أَفْقَرَتْهُ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دِينَهُ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلِحُ لَهُ إِلَّا الْفَقْرُ فَإِذَا أَغْنَيْتُهُ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دِينَهُ. نُلَخِّصُ الْمَوْضُوعَ ؛ الْإِسْتِقَامَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ وَالْأَمَانَةُ وَصَلَةُ الرَّحْمِ وَالصَّلَاةُ هِيَ عَوَامِلُ زِيَادَةِ الرِّزْقِ، وَحِينَمَا تَتَوَفَّرُ كُلُّ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَيَبْقَى الرِّزْقُ مَحْدُودًا فَهُنَاكَ حِكْمَةٌ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لِاخْتَرْتُمُ الْوَاقِعَ، قَالَ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٠١)

[ سورة المائدة ]

وليس بالإمكان أبدع مما كان، فالله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر، لكن هناك ناحية مهمة جدًا ؛ قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾ (١٥) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ (١٦) ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾

[ سورة الفجر ]

ماذا تعني كلاً؟! هي ليست حرف نفي، إنما حرف ردع، فلو قلت لك: هل أنت جائع؟ تقول لي: لا، ولكن إن قلت لك هل أنت سارق: فنقول لي: كلاً تردعني، فالله عز وجل يقول لنا ردعاً ليس عطائي لكم إكراماً وليس منعي لكم حرماناً! عطائي ابتلاء وحرمانني دواء، فإذا كان الرزق قليل لا تشعر أنك مهان! هذا غلط، فلو أن الأب كان رحيماً ومنع ابنه من تناول أكلة يُحبها من أجل أنه مريض فهل هذه إهانة للابن؟! لا فالله تعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام، فالله تعالى: فأما الإنسان إذا فأكرمه: هذا ليس إكرام بل ابتلاء، ثم قال تعالى:

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ (١٦) ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾

[ سورة الفجر ]

وليس كذلك هذا منعا.

آخر نقطة بالدرس ؛ الله تعالى أعطاك مالاً، فهل يُسمي هذا المال نعمة؟ الجواب: لا يُسمي هذا المال نعمة، ولا نعمة، فهو حيادي وهو ابتلاء فإذا أنفقته في طاعة الله انقلب إلى نعمة، وإذا أنفقته في معصية الله انقلب إلى نعمة، فَعَطَاءُ اللَّهِ ابْتِلَاءٌ وَلَيْسَ إِكْرَامًا لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَكَ الْمَالَ أَوْ

الصِّحَّةُ أَوْ الْجَمَالُ وَتُوظَّفُ هَذَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَتَقَلَّبُ هَذِهِ النِّعَمُ إِلَى إِكْرَامٍ، وَكَذَا لَوْ حَرَّمَ اللَّهُ عَبْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانَ هَذَا سَبَبًا لِإِقْبَالِ الْعَبْدِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، هَذَا الْحَرَمَانُ يَنْقَلِبُ إِلَى عَطَاءٍ، فَرَبَّمَا كَانَ الْمَنْعُ عَيْنَ الْعَطَاءِ، وَرَبَّمَا كَانَ الْعَطَاءُ عَيْنَ الْحَرَمَانِ، فَهَذَا الْمَعْنَى يَرْفَعُ مَعْنَوِيَّاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَكَ ذَا دَخَلٍ مَحْدُودٍ فَهَذِهِ حِكْمَةٌ مَا بَعْدَهَا حِكْمَةٌ، وَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لِاخْتِرْتُمْ الْوَاقِعَ. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، يَقُولُ سَيِّدُنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْضُ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يُسَمَّى الْغِنَى غِنًى وَلَا الْفَقْرُ فَقِيرًا، إِنَّمَا الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ بَعْدَ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

مَتَاعٌ (٢٦)﴾

[سورة الرعد]

ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غُمِسَ في مياه البحر ! والمؤمن ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة كما ينتقل الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، لذلك الآخرة هي الحياة الحقيقية، قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَأُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدًا (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدًا﴾

[سورة الفجر]

كلمة الحق لا تقطع رزقًا ولا تقرب أجلاً، وهذا هو التوحيد، والضامن هو الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾

[سورة هود]

الأمر مُعْرَفٌ بِاللَّهِ وَهِيَ لِلتَّوَكُّلِ، وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ رِزْقَهُ عَلَيْهِ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْإِتْقَانَ وَهِيَ عَوَامِلُ زِيَادَةِ الرِّزْقِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْعَوَامِلُ وَلَمْ يَرِزُقْ فَهَنَّاكَ حِكْمَةٌ مَا بَعْدَهَا حِكْمَةٌ وَلَوْ كُشِفَ لَكَ الْغِطَاءُ لَدُنْبِتِ كَمَا تَذُوبُ الشَّمْعَةُ، لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)﴾

[سورة يونس]

فلو ضربك إنسان من أجل مصلحتك لرُبِّمَا كَانَ هُنَاكَ عَقْرَبًا فَأَبْعَدَكَ عُنْفًا كِي لَا يَلْدَغَكَ فَهَلْ تَغْضَبُ مِنْهُ؟! لا، بل تشكره، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا  
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾

[ سورة البقرة ]

والحمد لله رب العالمين